بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

ان الطريق التي يسلكها المنقبون الى التحقيق في وجود البترول في ارض ما هي اولا البحث في طبيعة تلك الارض ، وفي انواع العناصر الدالّة على وجود الوقود السيّال فيها ، واهمها الاسفلت . على ان الاسفلت المكتشف عليه في بقعة من البقاع ، وان يكن شاهدًا صادقاً على وجود البترول ، فليس هو علامة قاطعة على ان الاراضي التي تحته تحوي الآن مستودعات النفط . لانه من المحتمل ان يكون النفط قد جفّ على مدى الدهور بقوى العوامل الطبيعية ، كقوّة حرارة الارض الباطنية . ومن المحتمل ايضاً ان يكون مدفوناً في طبقات الارض ، باعماق متفاوتة وكميات كبيرة محصورة في مخازن هائلة مصونة من كل عطب وثلمة . وحالةُ النفط في بطن الارض تلبس ملابس شتى ، فتارة يكون سيّالاً خالصاً ، وطوراً تتكاثف على سطحه الجزة تتولّد في أعماق الارض ، وحيناً ترسب في اعماقه مياه مالحة . وهذه المواد تزيد او تنقص بثروة الآبار المعدنية التي ينتهي اليها المنقبون استنباطاً لخباياها .

فاذا بلغ المنقبون مآربهم من درس طبقات الارض المرجّح فيها وجود البترول ، عمدوا الى سبر اعماقها . حتى اذا بلغوا القرار الراسبة فيه كميات البترول الوافرة ، همّوا باستخراجها بواسطة ما اخترعوه من الآلات الحديثة ؛ وذلك انهم يغرسون في الارض انابيب يبلغون بها اعماقاً تزيد على الف او الفي متر[1] وكلما توغلوا في العمق اتخذوا من تربته المتطبقة موادّ عرضوها للتحليل العلمي ، وعرفوا

1) راجع مجلة الطبيعة الافرنسية ، كانون الاول ١٩٢٢ ، ص ٤٠ وما بعدها

منها هل فيها اثر للبترول ام لا . فاذا استشاروا راخته داوموا التنقيب الى ان يبلغوا مستودع البترول ، فيثلمونه ويحصلون على مـا فيه ، إما باستخراجه بطرائق صناعية وإما بانسجامه عفواً . لان البترول قد يكون مضغوطاً عليه مع توالد الغازات وانتشارها ، وهي في حبسها تلتمس فرصةً سانحة لتطلق العنـان لجماحها . فاذا انفتح لها منفذ بواسطة انبوبة النقّابين اتخذت منهُ سبيلًا الى الخروج . وربما حدثت انفجارات طبيعية في مستودعات البترول الكمينة في بطن الارض من مجرّد ازدياد الغازات فيها وقوة اندفاعها ، كما جرى العام ١٩٢٧ في بلاد الموصل . وان هذه الاعمال تتقاضى النفقات الباهظة ، وتستغرق الزمن الطويل ، ولم تجرِ بعد في بلادنا لتوقفنا على حقيقة محتويات الطبقات السفلى في سورية ولبنان . ومن البديهي ان اولياء الامر لا يباشرون اعمال التنقيب بالوسائط الفنية ، ما لم يكونوا اولًا قـد اهتدوا ، بالاكيد او بالمرجّح ، الى وجود البترول من آثاره التي يكتشفها علماء الجيولوجية . وان علم طبقات الارض السورية لا يزال في نشأته فلسنا نعرف ما فيها الا على سبيل التخمين . امّا لبنان فقد ناله حظّ من الدرس وافر بفضل الاب زموفن ، مؤلف كتاب طبقات الارض في لبنان ، وواضع خارطة لبنان الجيولوجية ، وهو معوّل العلماء ومرجع المنقبين .

* * *

هذا وقد استعان الاستاذ لافون الافرنسي بما وُضع قبله من المؤلفات ، ليأتينا بلائحة المواقع السورية اللبنانية البارزة فيها آثار الهيدروكاربور ، ونشرت عنهُ مجلة الطبيعة الافرنسية (١٥ تشرين الثاني ١٩٢٨)[1] مقالًا لفتت فيه الرأي العام الى واجب الاكتراث للتنقيب عن البترول في بلاد الانتداب الافرنسي . واليك لائحتها :

في حاصبيا منجم من الاسفلت او الحمر المتلبّث كل طبقة منهُ يبلغ سمكها ٥٠ سنتيمترًا . باشروا أعمـال التنقيب فيه عن غير تنظيم ، فلم يحصلوا على نتيجة واضحة .

في سحمر ، على مسافة ١٥ كيلومترًا شمالي حاصبيا ، ظهر عجين من الاسفلت .

1) *La Nature, 15 Novembre 1928*

وظهرت آثار الاسفلت في الاراضي الكلسية ، في مواضع شتى منها وادي اليرموك على قرب من حدود فلسطين ، وجدوا فيه ٨٢ مترًا مزيجًا من التربة الكلسية والنوسفات والقار ، وما بعدها ٤٢ مترًا من سحيق الصدف (marnes) ، ثم ٣٧ مترًا من التربة الكلسية الحمرة . وظهرت من امثال هذه الادلّة في دمر بالقرب من دمشق . وقد اخذوا يهتمون باستنباط معادن الاسفلت في بلاد العلويين ، لكن العمل بطيء فيها[1]

ووجدوا اثرًا للنفط في جبل سنجار ، الواقع على الحدود الشرقية بين سورية والعراق ، ظهرت فيه صفحات الحمر ولم يتقدم احدٌ للبحث فيها . على ان ما يُعرف عن اهتمام الانكليز بتلك المقاطعة ، ونصفها الشرقي واقع ضمن انتدابهم ، لجديرٌ بان ينبهنا الى اهميتها المعدنية . وفي شمالي سورية الغربي ، بين عرسوس واسكندرونة ، على سطح من الرمل ملاصق لتربة خزفية ، يتقطر النفط قطرات تملي ليترًا بالساعة . وكانوا قبل الحرب قد حفروا قليلًا ، وسبروا عمق الارض في جوار ذلك الموضع فلم يحصلوا على نتيجة .

وفي جبل بشري شرقي بلادنا ، في بادية تدمر على مسافة ٤٠ كيلومترًا من غربي دير الزور ، في مقاطعة طولها ١٠ كيلومترات وعرضها ٣ ، توجد عدة بحيرات من الاسفلت الصافي الطري او الممتزج بالرمل الصالح للاستنباط ، وجبل بشري برمته حقيق بان يستوقف النقابين ، والأمل عظيم بوجود البترول فيه . وقد نال بعضهم الرخصة بتعدين مناجمه منذ اعوام ، ولم يأتوا بعد بعمل عاد على الصناعة العامة بخير يذكر

على ان البلاد الغنية بالهدروكربور والجديرة دون غيرها بلفت الانظار انما هي المقاطعة التي يسميها الافرنج « منقار الوزّ » نسبة لصورتها المرسومة على الخارطة الجغرافية ، فهي بقعة البلاد السورية الواقعة بين الاناضول والعراق ، وراء الفرات

١) تحدثنا بالامس الى الخواجا قبوات الدمشقي ، ملتزم اعمال ترفيت طريق بيروت - دمشق ، فاعلمنا انهُ استعمل اسفلت العلويين على مسافة خمسين مترًا من الطريق المذكورة ، فأتت بأحسن النتائج . ولكن رخص النفط الصادر من بور سعيد يحول دون تفضيل اسفلتنا البلدي عليه . ذلك مما يدلّ على ان وجود النفط في البلاد لا يكفي ما لم نعمّ بان نقربه منالًا واستعمالًا .

وبالقرب من دجلة ، وهي متصلة بجزيرة ابن عُمر . فانها على مقربة من زاخو وهريول الواقعتين شرقي نهر دجلة وفي شمال الموصل . فمن الطبيعي ان تكون مستودعات البترول الموصلية المدفونة في بطن الارض ممتدةً نحو الغرب في البلاد المشمولة بالانتداب الافرنسي ، اي تحت اراضي « منقار الوز » . وفي جنوب الموصل الغربي ، موضع اسمه الحضر ، وهو قريب من الحدود السورية ومن الخط العرضي من الكرة الارضية الواقعة عليه بحيرة الملح المسماة بواره . وهذه البقاع تتقطر بتروٍلا بكميات وافرة ، وهي جزء من الاراضي النفطية الواقعة جنوبي الموصل او في جنوبها بغرب في وادي دجلة وفيها المحلات التالية : حمام علي (او الغليل) وبابا گرگور ، وكركوك ، وطارل ، وقصر شيرين

وآثار البترول كثيرة في وادي الفرات ليس فقط بالقرب من هيت ولكن على ضفاف ملتقى الفرات والخابور ايضاً وفي جوار الرقة ، وفي بلاد حلب نفسها .

وان بئر البترول في بابا گرگور بالعراق قد اخرج في ٢٢ تشرين الثاني من العام ١٩٢٧ ، كمية من النفط بلغ وزنها ١٤,٠٠٠ طناً ثم أُغلق عليها . وكان البترول يطفر من تلك البئر في ١٧ تشرين الاول ، من عمق ١٥٠٠ قدم بضغط ٧٠ جوّاً ؛ وطبقة الارض التي كان يخرج منها ذلك الينبوع تمتد على مسافة ٣٠٠ كيلومتر .

وفي حزيران من العام ١٩٢٨ ، انفجرت بئر في طارل على مسافة ٣٠ كيلومتراً من بابا گرگور ، وكانت القوة الضاغطة فيها هائلةً ، وبترولها غنياً جداً بالغازات .

وان ملازمة طبقات الارض لهيئة واحدة في بلاد العجم وفي العراق لأمرٌ يؤدّي بنا الى نتائج خطيرة . فان الطبقات التي تشقّ الكرة الارضية في اعماقها على مسافة ٧٠٠ الى ٨٠٠ كيلومتر ، من الشرق الى الغرب ، ومن الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، ومن بلاد العجم الى بلاد العراق ، هي التي روّت العجم بالبترول وهي التي تدرّ اليوم بخيراتها على العراق . وهذه الطبقة لا تنتهي في العراق ، لكنها تمتدّ على مسافة ٤٠٠ الى ٥٠٠ كيلومتر واكثرها متوجهة من بلاد الموصل الى الشرق والشمال والغرب . فمن المعقول انها تدخل حدود

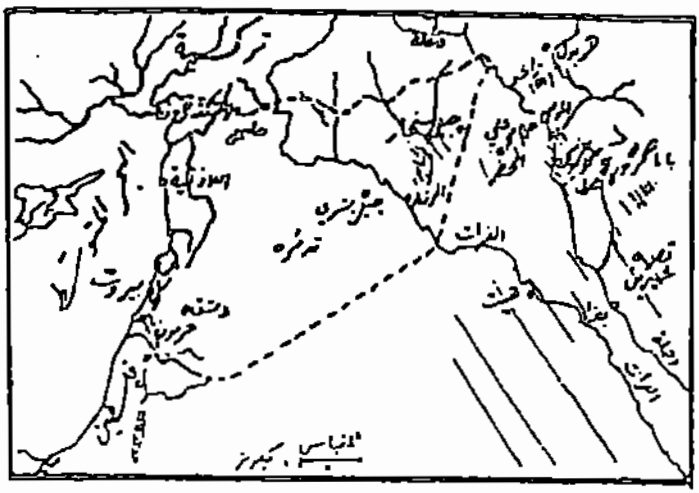

خارطة مواقع البترول في سورية ولبنان والعراق

البلاد المشمولة بالانتداب الافرنسي حتى بلاد حلب ، ومن المعقول انها متصلة بمقاطعة الحضر الشهيرة بنفطها وبالمستودعات النفطية الواقعة تحت مصب الخابور. ولعلها تلوي نحو الغرب الى جوار اسكندرونة.

فيبدو من ثم ان املنا بوجود كميات وافرة من البترول في نفس بلادنا مبني على أساس متين. فيا ليت اغنياءنا يستعينون بالحكومة ، ويتفقون مع الشركات الافرنجية القديرة على اعمال التنقيب واستنباط المعادن ، ليباشروا العمل في شمالي سورية وفي الجزيرة . فاذا ظهر النفط في بلادنا ، واسعدنا الحظ ، وامتدت انابيب الموصل الى البحر المتوسط عن طريق سورية ولبنان ، كان لنا رافدان من الوقود السيال جاريان في بلادنا ، وفيهما من الحركة والحياة والخيرات ما لا تحمله بمياههما دجلة والفرات.